Archive of SID

مجلة اللغة العربية وآدابها
السنة ١١، العدد ٤، شتاء ١٤٣٧ هـ
صفحة ٦٧٣- ٦٩٣

القضايا الأخلاقية- الاجتماعية:
دراسة مقارنة في نماذج من شعر أبي نؤاس وحافظ الشيرازي

آزاده منتظري[1*]، محمد خاقاني اصفهاني[2]

١. أستاذة مساعدة، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة قم
٢. أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٥/١٢/١٦ ؛ تاريخ القبول: ٢٠١٦/٢/٢)

الملخّص

لا شك في أنّ الأدبين العربي والفارسي بمقوماتهما العريقة وتجاربهما الخصبة، قد تأثرا بعضهما بالبعض منذ القديم، والشعر الخمري الذي ابتدعه أبونؤاس (١٩٦ق)، شاعرٌ عبقري من عباقرة الأدب العربي، صار نموذجاً مثالياً للشعراء في الأدبين العربي والفارسي، منهم حافظ الشيرازي (٧٩٢ش) الملقّب بـ"لسان الغيب"، من كبار الشعراء الفرس. هذا البحث يرمي إلى دراسة عددٍ من السلبيات الاخلاقية- الاجتماعية الشائعة المشتركة في مجتمعي الشاعرين أبي نؤاس وحافظ الشيرازي من خلال أشعارهما ومقارنتها في شعر هذين الشاعرين الكبيرين معتمداً على المنهج الوصفي- التحليلي ومستعيناً بالمدرسة الأمريكية في الأدب المقارن، وتظهر أهمية هذه الدراسة في مقارنة الإنتاجات الأدبية لهذين الشاعرين العبقريين ـ الذينِ قد اغترفا من ينبوع الأدبين العريقين؛ العربي والفارسي من حيث الأبعاد الاجتماعية ـ الأخلاقية وكذا مواقفهما الشعرية إزاءها. إن رياء الناس وتسترهم، البخل، ولوم اللائمين وعيب العابين هي تعدّ من أهم القضايا الاجتماعية الشائعة في هذين المجتمعين اللّذين تطرق إليهما الشاعران في تراثهما الشعرية. والملحوظ أن ردّ عمل الشاعرين الرئيسي يتلخّص في بيان الخلل الخلقية- الاجتماعية عبر مقدرتهما الأدبية والفكاهية في تعبير كثير من القضايا الجادة المرّة، وهو فنٌ لا يتمكنه كلّ أديب أو شاعرٍ مضافاً إلى أنهما من وجهة نظر الباحث يعدّان شاعران ملتزمان يهمّهما ما يجري في المجتمع من الأحداث، غير أنّ أبانؤاس قد اتهمّ بتحلّل الخلقي بينما حافظ الشيرازي فهو حالفه الحظ إذ الآراء تميل إليه، يحبونه الناس الخاصة منهم والعامة.

الكلمات الرئيسة

القضايا الأخلاقية- الاجتماعية، الأدب المقارن، أبونؤاس، حافظ الشيرازي.

---

* الكاتب المسؤول
Email: azade.montazeri@yahoo.com

www.SID.ir

Archive of SID

مقدمة

إنّ التاريخ الأدبي أو التاريخ الإنساني لم يعرف التقاء أكثر غنىً وشمولاً من التقاء العرب والإيرانيين على مستويات عديدة ومتنوّعة، وهذه العلاقات الوطيدة التي تعود جذورها إلى أقدم العصور، قد برزت منذ البعثة المحمّدية واستمرّت حتّى عصرنا الحاضر. وثمة كثير من الايرانيين الذين اهتمّوا باللغة العربية في ابداعاتهم وانتاجاتهم الأدبية منهم أبونؤاس حسن بن هانئ في القرن الثاني وشمس الدين محمد المعروف بـ" خواجة حافظ الشيرازي" في القرن الثامن للهجرة. هذه المقالة ترمي إلى مقارنة شعر هذين الشاعرين الكبيرين في الأدب الفارسي والأدب العربي واستقصاء أبين الخلل الاجتماعية وأظهرها التي تجلّت في غضون أشعارهما رغم بون زمني شاسع بينهما، وتسلّط الضوء على أهمّ القضايا المشتركة في مجتمعي شاعرين أبي نؤاس وحافظ الشيرازي كما تقوم بتحليل ومقارنة ردّ عمل الشاعرين الأدبي إزاء ما شاهداه في المجتمع من السلبيات والخلل الأخلاقية وهذا لا يعني أن القضايا الاجتماعية في شعر الشاعرين تنحصر بهذه الثلاثة بل هذه من أهم المشتركات ونطاق البحث فيها أوسع وأشمل.

والذي لابدّ من ذكره هنا أن هذه الدراسة لا ترمي إلى إثبات التأثير والتأثر فيما بين الشاعرين كما شرطت المدرسة الفرنسية للأدب المقارن بل تريد أن تبرز الخطوط الكلية من التشابه والاختلاف بين الشاعرين كما تراه المدرسة الأمريكية للأدب المقارن (عوض، ٢٠١٢) وتظهر أهمية هذه الدراسة في مقارنة الإنتاجات الأدبية لهذين الشاعرين العبقريين الذينِ قد اغترفا من ينبوع الأدبين العريقين؛ العربي والفارسي من نواحي الاجتماعية- الأخلاقية وكذا مواقفهما إزاءها حيث تنوي المقالة الإجابة عن السؤالين التاليين هما عبارة عن:

١. ما هي القضايا الاخلاقيه- الاجتماعية المشتركة في مجتمعي الشاعرين؛ حافظ الشيرازي وأبي نؤاس من خلال شعرهما؟
٢. ما هي مواقف حافظ الشيرازي وأبي نؤاس الشعرية إزاء الخلل الاخلاقية- الاجتماعية الشائعة في مجتمعيهما؟

وجدير بالذكر أنّ أمثال هذه الأبحاث تقتضي أن تُبنى على صلة عميقة بين الأدب والاجتماع، والحق أن الأدب إلى جانب كونه غذاءً للروح ينعشها، وفنّاً للذوق يرهفه، ومتعة

www.SID.ir

Archive of SID

للنفس يبهجها، قد يكون صورة واقعية لبعض جوانب المجتمع الذي وُضع فيه. والأدب كلّما كان أبعد عن قصور الملوك وتصوير حياتهم، وأقرب من الشعب وتصوير حياته،كان أبعد عن الكذب والرياء وأقربُ إلى الصدق والواقع. ولا شك أن العلاقة بين الأدب والمجتمع علاقة جذرية متماسكة، ولا ينتج أدبٌ إلّا في الجماعة ولايستمد الشاعر صوره ويقتبسها إلا من البيئة ومن الثقافة التي تلقّاها منذ الصغر (ابوشقراء، ٢٠٠٥: ٢٤)، فلا ريب أن للنوعية المجتمع والسلطة دور هام في تحديد القضايا الأدبية وما تستوعبه كما وجدته هذا البحث في دراسة القضايا الاجتماعية في شعر أبي نؤاس وحافظ الشيرازي والمقارنة بينهما.

ومن أهمّ الكتب والمقالات التي قامت بدراسة بعض القضايا الاجتماعية في شعر أبي نؤاس وحافظ الشيرازي: هي كتاب "أبونؤاس بين العبث والاغتراب والتمردّ" لـ"الزعيم" (١٩٨١م)، كتاب "حركة الشعر العباسي في مجال التجديد بين أبي نؤاس ومعاصريه" لـ"خريس" (١٩٩٤م) وكذا مقالة "أبونؤاس بين مؤيديه ومعارضيه" لـ"خيرية" (٢٠٠٧م) المطبوعة في مجلة العلوم الانسانية؛ هذه المصادر كما تبدو تعالج شعر أبي نؤاس من نواحي التجديد وغيره في شعره وفي شعر معاصريه، وقلّما يسلّط الضوء على الأبعاد الاجتماعية– الاخلاقية في إنتاج أبي نؤاس الشعري، وإن لعبت دورا هاماً في توجيه المقالة، ومن ثمّ كتاب "چارده روايت" لـ"خرمشاهي" (١٣٦٨ش) الذي قام بكتابة مقالات مستقلة عن حافظ الشيرازي؛ من أهمها في هذا المجال: "انديشههاي ملامتي حافظ" و"نظري به طنز حافظ"، كما لا يفوتنا الإشارة إلى مقالة متميزة عن تطبيق شعر هذين العبقريين هي موتيف "الظرف" و"رندي" في شعر أبي نؤاس الأهوازي وحافظ الشيرازي قراءة مقارنة لـ"أكبري" ١٣٩٢ش وكذا مقالة "بررسي انتقادات اخلاقي اجتماعي در غزليات حافظ شيرازي" لباقري خليلي (١٣٨٧ش) التي تعتني بعددٍ من القضايا الاجتماعية العامة في شعر حافظ الشيرازي من منظار مختلف عن هذه المقالة؛ فلا يكاد يوجد ما يركزّ الاهتمام على القضايا الاجتماعية في شعر حافظ الشيرازي لا سيما على وجه المقارنة بين شعره وبين شعر أبي نؤاس.

نبذة عن أبي نؤاس وحافظ الشيرازي

أبونؤاس أو الحسن بن هانئ (١٣٩-١٩٥ق) هو شاعر فارسي من أشهر شعراء العصر العباسي الأول بل من كبار شعراء الأدب العربي وعباقرته على الإطلاق، قد قضى معظم حياته في بغداد تحت حكم الخلفاء العباسيين، هارون الرشيد والأمين العباسي. عاش الشاعر في

www.SID.ir

Archive of SID

عصر ضجّ بالريبة والشك والاضطراب، وشهد صراعا بين المذاهب والديانات إذ تسللت الفلسفات الفارسية والهندية واليونانية إلى المجتمع العربيّ وأثرّت فيه تأثيرا بالغاً كما تسرّب الفرس إلى صميم المجتمع والسلطة، ومن خلال اقتراب أبي نؤاس من الخليفة وبطانته استطاع أن يقف على التناقض الكبير بين ما تُمارسه السلطة أمام العامة وبين ما تمارسه أمام الخاصة والندماء، ووقف على التشوّه الكبير والتحلّل الخلقي الفاحش في حياة مجتمعه ممّا أدّاه بتمثيل تلك القضايا السياسية والاجتماعية وغيرها في شعره لا سيما في خمرياته،«فإن أبانؤاس شاعر الخمر بلا منازع، والخمر عروس شعره؛ فيها تجلت عبقريته المجددة التي رفعته فوق السابقين واللاحقين» (الزعيم، ١٩٨١: ٧٢)، مضافاً إلى أنّه ثار على النهج الشعري القديم الذي كان يمثّل سيادة النزعة الأرستقراطية العباسية على الأدب، وغدا معظم شعره لاسيما خمرياته أقرب إلى الشعبية والديموقراطية منها إلى الأرستقراطية.

وحافظ الشيرازي (٧٢٦-٧٩١ق) الملقّب بـ"لسان الغيب وترجمان الأسرار" هو من أعظم الشعراء في الأدب الفارسي بل الأدب العالمي الذي تأثر بالمدرسة الخمرية التي ابتدعها أبونؤاس في العصرالعباسي الأول، فمعظم شعره يدور على المعاني الغزلية والخمرية والتي لا تخلو من الإشارات اللطيفة إلى العاهات الاجتماعية والأخلاقية. عاش الشاعر في شيراز في عصر مضطربٍ أشد الإضطراب حيث فاجأها تيمور لنك في نهاية القرن الثامن بغزواته وفتوحاته المدمرة، وحوصرت مدينة شيراز نحو خمس مرات وتداول حكمها الأمراء والملوك من تلك الأسر، فكانت الحياة الاجتماعية فيها بين مدّ وجزر وشدة ويسرٍ تتعرض حيناً لوابل من الدماء وترخر تارة بالمحافل والاعياد وتتراخي العادات والأعراف فيها طوراً، ويسودها التقشف والزهادة طوراً آخر، ووقعت فيها شيراز في أيدي جملة من حكام تنازعوا على القدرة واستباحوا لأنفسهم ما توصلهم إلى السلطة والجاه والشوكة والعظمة مهما كان (الياقي، ١٤٠٩: ١١؛ ضيف،١٩٨٠: ٤٩٦/٥-٤٩٨).

السلبيات الأخلاقية- الاجتماعية

قد اتّسمت بغداد في العصر العباسي الأول بشيوع بعض الرذائل والقبائح الأخلاقية- الاجتماعية في الطبقات الحاكمة والفئات الأولى من المجتمع من الرياء والنفاق، البخل و..، وكان لها تأثير سلبي كبير لم يقتصر على كل شخص بوحده بل عمّ في نواح أخرى من المجتمع\ إذ يكون الإنسان كائناً اجتماعياً لا مفرّ له من العلاقات الاجتماعية بينه وبين الآخرين من أفراد مجتمعه،

www.SID.ir

Archive of SID

كما صارت مدينة شيراز، التي كانت قد سميت بـ"برج الأولياء" لأجل الأبرار فيها (خرمشاهي، ١٣٦١: ١٩)، في عصر الحافظ الشيرازي محطّ الفساد والإثم والرياء؛ «إذ إن المبادئ الأخلاقيه– الاجتماعية تنحطّ في مجتمعٍ يتولى زمامَ الحكم أشخاصٌ سيئو طباعٍ لا يليقون به، فإنهم يهينون الفضائل الأخلاقية ويشيعون صنوفاً عديدة من العاهات الاجتماعية؛ منها الفساد والكذب والرياء والسرقة وعدم المبالاة بالمكارم الإنسانية وما إلى ذلك» (صفا، ١٣٣٢: ٨٠/١). فلا غرو إذ نلمس إشارات من هذه القضايا وأمثالها في ابداعات الشاعرين العبقريين رغم الضغوط الاجتماعية والسياسية في مجتمعهما آنذاك، فهما قاما بتعبير عدد من البلايا الأخلاقية– الاجتماعية في شعرهما بأساليبهما الخاصة؛ فإنّ الإظهار هو التغيير.

رياء الناس وتستّرهم:

رياء مصطلحٌ يطلق على من يتظاهر بالمعروف ويترك الإخلاص في العمل كي يتمكن من قلوب الناس ويسمو بمنزلته عندهم (سجادي، ١٣٦٢: ٤٣٦–٤٣٧). «وعن رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ: إِنّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشّرْكُ الْأَصْغَرُ قَالُوا: وَمَا الشّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ: الرّيَاءُ، يَقُولُ اللّهُ عَزّ وَجَلّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ اذْهَبُوا إِلَى الّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً» (المجلسي، ١٣٩٢: ٢٩٥/٧).

ومن وجهة علم الاجتماع الإسلامي إن من الدواعي والبواعث الرئيسية لنشوء الرياء في المجتمع هو الإلحاح المُفرط على أعمال الناس وتقويمها بالموازين الدينية إلى أن تمحو مظاهر الصدق والصداقة في المجتمع وتقوم مقامها الرذائل الأخلاقية (باقري خليلي، ١٣٨٧: ٥).

يكره أبونؤاس هؤلاء الناس، لاسيما العلماء والمذهبيين، الذين يتظاهرون بالخير والمعروف، ويقومون بالمنكر، وهم في خلواتهم:

ألا فَاسقِني خَمراً وَقُل لي هِيَ الخَمرُ ... وَلا تَسقِني سِرّاً إِذا أَمكَنَ الجَهرُ
ولا تسقين منها المرائين قطرةً ... لأن رياءَ الناس عندي هو الهجرُ

(أبونؤاس، ٢٠٠٢: ١٣٣/٣)

ويردّ فعلهم هذا باتخاذ موقف الجهرية إزائهم، فيجهر بما هم يسترونه تعذيباً لهم قائلاً:

فَبِح بِاسمِ مَن تَهوى وَدَعني مِنَ الكِنى ... فَلا خَيرَ في اللَذّاتِ مِن دونِها سِترُ
ولا خَيرَ في فَتكٍ بِدونِ مُجانَةٍ ... ولا في مَجونٍ لَيسَ يَتبَعُهُ كُفرُ

(أبونؤاس، ٢٠٠٢: ١٣٣/٣)

www.SID.ir

Archive of SID

وإذا ما أردنا أن نقرأ هذين البيتين الأخيرين قراءة اجتماعية دون الاكتراث بالوحدات الأخرى من البنية الاجتماعية والبنية الشعرية للنص النؤاسي فلا نستنتج منهما إلّا أنه انسانٌ فاجر فاسق كافرٌ ماجن لا يعنيه اقتراف الكبائر ومجاهرته بها، وأمّا تلك الأبيات وأمثالها، وإن تنفك بعضها من البعض في هذه المقالة، فهي تنضوي تحت لواء الرؤية الكلية النؤاسية إلى المجتمع وقضاياه، وتقارَب على ذلك السياق الرؤيوي، إذ أن الشعر النؤاسي كشعر أيّ شاعر آخر يتميز من الأعمال الأدبية الأخرى ببنية دلالية كلية تدلّ على رؤيته إلى العالم والإنسان ووعيه بالمجتمع وحوائجه. وهذه البنية لا تعثر عليها الّا من خلال دراسة معظم شعره وتحليله، وهذا ما لا يتسع في هذه المقالة، فنغترف منها بجرعة.

أو حينما يقول ساخراً من السرية التي يغلف بها الناس أفعالهم:

فِداؤُكَ نَفسي قَد طَرِبتُ إِلى الكَأسِ وَتُقتُ إِلى شَمِّ البَنَفسَجِ والآسِ
فَهَل لَكَ في أَن نَجعَلَ اليَومَ نُسكَنا وَنَشرَبَها في البَيتِ سِرّاً مِنَ الناسِ

(أبونؤاس، ١٩٨٧: ١/٢٢)

وشيراز مدينة حافظ الشيرازي صارت آنذاك متجر الرياء في الطبقات الفوقية من المجتمع من رجال الحكومة وحتى معظم رجال الدين:

زكوي ميكده دوشش بدوش مي‌برند امام شهر كه سجاده مي‌كشيد به دوش

(حافظ، ١٣٨٠: ٣٨٣)

ـ وليلة الأمس حملوا من جادة الحانة على اكتافهم

"إمامَ البلدة" الذي كان يحمل السجادة على أكتافه (حافظ، ١٩٩٩: ٢٠٤)

أو

واعظان كاين جلوه در محراب ومنبر ميكنند چون به خلوت مي‌روند، آن كار ديگر مي‌كنند

(حافظ، ١٣٨٠: ٢٧٠)

– هؤلاء الواعظون الذين يبدون مثل هذا القدر من التجلي فوق المنبر وأمام المحراب حينما يذهبون إلى الخلوة، يفعلون أمراً آخر يستوجب الجزاء والعقاب...! (حافظ، ١٩٩٩: ٩٠)

إنّ حافظ هو من ألدّ أعداء الرياء وأشدهمقي مختلف العصور والأدوا، وقلماّ نجد اديباً أو مثقفاً كحافظ يعزم على استئصال عقدة الرياء من الثقافة الاسلامية وتطهير ساحاتها من لوثها (خرمشاهي، ١٣٦١: ٣٥):

www.SID.ir

Archive of SID

وإن يعرف أنه إذا ما لا يستحيل لكنه يصعب للغاية:

گرچه بر واعظ شهر این سخن آسان نشود تــا ریــا ورزد وســالوس مســلمان نشــود

(حافظ، ١٣٨٠: ٣٠٨)

– لن يكن هذا الكلام سهلاً يسيراً على "واعظ البلدة"

فإنّه ما دام يصطنع الريا والنفاق فلن يكون مسلماً (حافظ، ١٩٩٩: ١٦٥)

ويمتنع حافظ من الاستماع إلى حديث من يعظ الناس بالمكارم وينهاهم عن المعاصي بينما هو لايعمل بما يقوله فيتوجّه تجاه دار الشراب.

عنان به میکده خواهیم تافت زین مجلس که وعظ بي عملان واجب است نشنیدن

(حافظ، ١٣٨٠: ٥٣٥)

ـ وسأترك هذا المجلس وأثنى عناني إلى دار الشراب

فمن الواجب ألّا أستمع إلى وعظ من لا عمل لهم(حافظ،١٩٩٩م،ص٢٨١)

ومن أسباب شيوع الرياء بين معظم رجال الدين والحكومة التي يحصيها حافظ حافظ، هي العثور على محبة الملك والحاكم:

واعظ شـهر چومهر ملك وشـحنه گزیـد مـن اگـر مهـر نگـاري بگـزینم چـه شـود

(حافظ، ١٣٨٠: ٣٠٩)

وماذا يحدث...؟ إذا كان واعظ البلدة قد اختار حبّ الملك والحاكم...!!

والملحوظ في شعر حافظ الشيرازي هو إكثاره من استخدام الـ"محتسب" إلى جانب الألقاب الأخرى في المجتمع:

مي خور كه شيخ وحافظ ومفتي ومحتسب چـون نیـك بنگـري همـه تزویـر مـي‌کننـد

(حافظ، ١٣٨٠: ٢٧٢)

واشرب الخمر.. فإن "حافظا" و"الشيخ" و"المفتي" و"المحتسب"

جميعهم ـ إذا أمعنتَ النظر ـ يزّورون ويموّهون الحقائق...!! (حافظ، ١٩٩٩: ٩١)

ومأثورٌ فيه إن الشاعر أراد بـ"المحتسب" "امير مبارز الدين محمد بن مظفر" رجلاً غليظ الطبع، مُرائياً وقاسياً في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذي قام بقتل "شاه شيخ أبواسحاق" في سنة (٧٥٨ق) الذي شهد عصره ازدهاراً في العلم والأدب (صفا، ١٣٣٢: ١٠٨٣).

www.SID.ir

Archive of SID

والطريف في هذا المقال أنّ شاعرنا حافظ الشيرازي لم يحذر أن لا يجعل نفسه بجانب الأخرين المذمومين بل في سبيل الإرشاد والإفشاء لم يألُ جهداً وهو بذل قصارى سعيه.

والشاعر قد أدرك نتائج شيوع الرياء، هذه الظاهرة المهلكة في المجتمع حيث يقول:

آتش زهد وريا خرمن دين خواهد سوخت　　حـافظ ايـن خرقـه پشـمينه بينـداز وبـرو

(حافظ، ١٣٨٠: ٥٥٣)

– يا حافظ...! إن نار الزهد والرياء ستحرق بيدر الدين

فاستمع إلى نصحي... وطوح بهذه الخرقة الصوفية... واذهب إلى حالك...!! (حافظ، ١٩٩٩: ٣٠١)

وكأنّه في هذا البيت يخاطب الناس في عصره وجميع الأعصار بأن الزهد من شأنه أن يكون خالصاً صافياً من أيّ دناءة وتلوّث وأن لا يجتمع بالرياء وليس من شأن الزاهد أن يكون مرائياً، وإنّا يحترق بيدر الدين بنار رياء الزهد والزاهد المُرائي، إذ إن الزاهد المُرائي يجعل الدين ومقدسات الإسلام شبكة للتزوير والتزييف ووسيلة لنيله من غاياته الدنية والرذيلة:

حافظا مي خور ورندي كن وخوش باش، ولـي　　دام تزويـــرمكن چـــون دگـــران قـــران را

(حافظ، ١٣٨٠: ١٤)

ـ أمّا أنت يا "حافظ" فاشرب الخمر وعربد، واهنا بالاً، ولكن

لا تجعل القرآن ـ مثل الآخرين ـ شبكة للتزوير والتمويه..!! (حافظ، ١٩٩٩: ٨)

البخل

إن البخل من إحدى الرذائل الاجتماعية التي تنشأ من الكفر (نراقي، ١٣٧١: ٣١٠). ويقترن بالكفر كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم: ﴿**الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَاآتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً**﴾ (النساء/٣٧).

والبخل كثيراً ما ذكره أبونؤاس في أحوال هؤلاء الذين تنعموا بالثروة الباذخة والمكانة الاجتماعية الراقية، منهم اسماعيل بن أبى سهل نيبخت، وهو من الأشراف والسادة، يهجوه أبونؤاس لبخله قائلاً:

عَلَـى خُبـزِ إِسماعيـلَ واقِيَـةُ البُخـلِ　　فَقَـد هَـلَّ في دارِ الأَمـانِ مِـنَ الأَكـلِ

www.SID.ir

Archive of SID

وَمـا خُبـزُهُ إِلّـا كَـآوى يُـرى ابنُـهُ ... وَلَـم يُـرَ آوى فِي حُـزونٍ وَلا سَـهلِ
ومـا خُبـزُهُ إِلّـا كَعَنقـاءِ مُغـرِبٍ ... تُصَـوَّرُ فِي بُسـطِ المُلـوكِ وَفِي المُثـلِ
يُحَـدِّثُ عَنـها النـاسَ مِـن غَيرِ رُؤيَـةٍ ... سِـوى صـورَةٍ مـا إِن تُمَـرَّ وَلا تُحلـي
ومـا خُبـزُهُ إِلّـا كُلَيـبُ بـنُ وائِـلٍ ... وَمَـن كـانَ يَحمـي عِـزُّهُ مَنبِـتُ البَقلِـه

(أبونؤاس، ٢٠٠٢: ٥٤/٢)

وإن بخله يتمثل في صيانته الخبزَ من أن يظهره للناس، فهو يكتمه دائما عن أنظار الناس، وهذا التمثيل، وإن لا يخلو من المبالغة، لكنه يدلّنا على أنّ الخبز كان قاعدة المواد الغذائية وأهمّها في تلك الفترة، والأبيات التالية تأييدٌ على هذا الرأي إذ يصوّر أبونؤاس أحد البخلاء قائلا:

رَغيـفُ سَـعيدٍ عِنـدَهُ عِـدلُ نَفسِـه ... يُقَلِّبُـهُ طَـوراً وطَـوراً يُلاعِبُـه
ويُخرِجُـهُ مِـن كِمِّـهِ فَيَشِـمَّهُ ... ويُجلِسَـهُ فِي حِجـرِهِ ويُخاطِبُـه
وَإِن جائَهُ المَسكينُ يَطلُبُ فَضلَهُ يَكِرُّ ... فَقَـد ثَكَلَتـهُ أُمُّـهُ وأقارِبُـه
عَلَيـهِ السَـوطُ مِـن كُـلِّ جانِـبٍ ... وَتُكسَـرُ رِجـلاهُ وَيُنتَـفُ شـارِبُه

(أبونؤاس، ١٩٨٧: ١٥٨/١)

وثمّة ستة مناظر في هذه الابيات الكوميدية التي تُظهر ذروة البخل بين بعض الفئات الاجتماعية أولاً: منظر "سعيد" وهو يقلب رغيفه تقليب الحريص المعجب الذي يقلب جوهرة ثمينة. ثانياً: منظره وهو يلاعبه ملاعبة الأم لطفلها الوحيد، والمنظر الثالث وهو يخرجه من كمّه بين تارة وأخرى ليشمّه فقط لا ليأكله لأنه يبخل به حتى على نفسه. والمنظر الرابع وهو يجلسه في حجره ويحدثه ويناجيه مناجاة المحبّ الواله، والمنظر الخامس ثورته كما يثور المجنون حين يأتي المسكين بطلب لقمة منه، والمنظر السادس وهو يكرّ عليه بالسوط ويلاحقه في الطريق حتى يكسر رجله، ولا يكتفي بذلك بل ينتف شاربه أيضاً!

وفي موضع آخر يشدّد على بخل اسماعيل بن أبي سهل نيبخت قائلاً:

خُبـزُ إِسماعيـلَ كَـالوَشي إِذا مـا انشَـقَّ يُرفـا
عَجَبـاً مِـن أَثَـرِ الصَنـعَةِ فيـهِ كَيـفَ يَخفـى
إِنَّ رَفّـاءَكَ هَـذا أَحـذَقُ الأُمَّـةِ كَفّـا
وَإِذا قابَـلَ بِالنِصـ ... ـفِ مِـنَ الجَـردَقِ نِصـفا
يُلصِـقُ النِصـفَ بِنِصـ ... ـفٍ فَـإِذا قَـد صـارَ أَلفـا

www.SID.ir

Archive of SID

ألطَـــفَ الصَـــنعَةَ حَتّـــى لا تَـــرى مِغـــرَزَ إِشـــفى
مِثلَمـــا جـــاءَ مِـــنَ التَنـــ نـــورِ مـــا غـــادَرَ حَرفـــا

(أبو نؤاس، ٢٠٠٢: ٥٦/٢)

«فذكر بونيبخت أن أبا نؤاس كان ينادم اسماعيل بن أبي سهل ويؤاكله فرأى يوماً على الخوان رقاقة في جانبها خَرقٌ قد ضُمّ فرفعها بإحدى يديه ونقرها بالأخرى فانفرجت فقال با بني نيبخت خبزكم مرفو وهو يضحك ثم قال هذه القصيدة» (أبونؤاس، ٢٠٠٢: ٥٦/٢). وهذه صورة فكاهية مضحكة رسم أبونؤاس من خلالها بعداً اجتماعياً من أبعاد مجتمعه، وواجهه كناقد بصير يعي القضايا الاجتماعية بالدقة ويحللّه.

وينصح أبونؤاس البخلاء بشرب الخمر حتى يتحلّوا بفضيلة الجود والندى، وينافسون القوم بعضهم بعضاً في السماحة والإكرام:

وإذا مـــا ذاقهـــا الشَـــر بُ وإن كـــانوا شِـــحاحا
سمُحـــوا حـــتى تـــرى القـــو مَ يبـــارون الســـماحا

(أبو نؤاس، ٢٠٠٢: ١٠٤/٣)

وعلى الظن الأقوى، ما أراد أبونؤاس من الخمرة تلك الخمرة المادية التي يشربها الشاربون ويسكرون بها ويفقدون وعيهم، بل هي رمز لخمرة تهب شاربه الوعي والسماحة والخصال الحسنة حيث تمكنه من أن ينافس القوم.

وفرّق أبونؤاس بين البخل والفقر قائلاً:

وَلَيسَ جَوادٌ مُعدَمٌ كَبَخيلِ (أبو نؤاس، ٢٠٠٢: ٢٣٣/٣)

ويرى حافظ الشيرازي البخل والإمساك كفراً باللّه العظيم حيث يقول:

چه دوزخي چه بهشتي چه آدمي چه پري به مذهب همه كفر طريقت است امساك

(حافظ، ١٣٨٠: ٤٠٥)

ـ وأهل النار، وأهل الجنة، والآدمي، والملاك

جميعهم على مذهب واحد... وهو أن الكفر في الإمساك...!! (حافظ، ١٩٩٩: ٢١٨)

وهو يكره البخلاء كرهاً شديداً حيث لا يريد أن يتفوّه بهم:

در ده بيا حاتم طي جام يك مني تا نامه سياه بخيلان كنيم طيي

(حافظ، ١٣٨٠: ٥٨٢)

www.SID.ir

Archive of SID

ـ وأعطني رطلاً ثقيلا... أشربه على ذكرى «حاتم طيّ»

فربّما استطعت أن أطوي به سجل البخلاء الأسود...!! (حافظ، ١٩٩٩: ٣١٥)

وهو يعتقد أن الانسان البخيل بعيدٌ عن اللّه سبحانه وتعالى، ولن يشمّ رائحة الحق، فالشاعر يقترح عليه بأن يجود ويبذل:

بخيـل بـوي خـدا نشـنود بيـا حـافظ پيالـه بگيـر وكـرم ورز والضـمان علـيّ

(حافظ، ١٣٨٠: ٥٨)

ـ فإن البخيل... يا حافظ...! لايدرك معنى الكريم الوهّاب

فتناول الكأس... وجد عليّ به... والضمان عليّ...!! (حافظ، ١٩٩٩: ٣٤٤)

أو ينصحه بأن يصرف ماله في سبيل العيش والحياة الرغيدة دون أن يدخّره كـ" قارون":

چوگل خرده‌اي داري، خدا را صرف عشرت كن كه قارون را غلطها داد سوداي زر انـدوزي

(حافظ، ١٣٨٠: ٦١٧)

ـ وكن كالوردة البهيجة... إذا حصلتَ على نقد صغير فأنفقه في المتعة والشراب

فالرغبة في جمع الذهب سببت لـ"قارون" كثيراً من الأخطاء والغلطات...!! (حافظ، ١٩٩٩: ٣٤٤)

لوم اللائمين وعيب العائبين

إنّ من يشتغل بمعايبة الآخرين في المجتمع بينما هو يغفل عن عيوبه نفسه فعمله هذا يؤدي إلى شيوع الرذائل والقبائح في المجتمع كما يقدح في عرض الآخرين. وقال الإمام علي عليه السلام عنه:"مَن عابَ عِيبَ، ومَن شَتَمَ أُجيبَ (منتخب ميزان الحكمة، ٤٢٠).

ويكره أبونؤاس شيوع هذه الظاهرة في المجتمع ويرفضها إذ يراها تضييقاً لحريته الشخصية وبالتالي الحريات الاجتماعية، فلا ينصرف عمّا يتابعه من المجون أو حبّه بالخمر وما يلازمها على الإطلاق:

لا يَصـرِفَنَّكَ عَـن قَصـفٍ وَإِصـباءِ مَجمـوعُ رَأيٍ وَلا تَشـتيتُ أَهـواءِ

(أبونؤاس، ٢٠٠٢: ٢٣/٣)

حتى إذا آخذه الخليفة الأمين العباسي بشرب الخمر وأمره بتركه، فاكتفى منها بشمّ رائحتها ونسيمها، ورؤيتها واستماع إلى أحاديثها في مجالس الخمر دون تذوّقها ولم يلبث طويلاً حتى عاد إليها، تغاضياً عن أمر الخليفة ولوم اللائمين.

www.SID.ir

Archive of SID

أيهـــا الرائحـــان بـــاللوم، لومـــا لا أذوق المُـــدامَ إلّـــا شميمـــاً
نـــالني بـــالملام فيهـــا إمـــامٌ لا أرى لي خلافَـه مستقيما لَستُ إلّا
فَاصـــرِفاها إلى سِـــوايَ فَـــإنّي عَلَـــى الحَـــديثِ نَـــديما
كُـبرُ حَظّـي مِنـها إذا هِـيَ دارَت أن أراهـــا وَأن أشُـــمَّ النَسَـــيما

(أبونؤاس، ١٩٨٧: ٣٠٦/٢)

ثم إنّه قد أوقف لائميه على النتائج العكسية لمعاملتهم هذه، وهي أنّ كثرة اللوم والنهي قد يغري الإنسان بالإصرار على ما هو فيه من الخطأ، أكثر من أن يفيده، وهكذا كان حال أبي نؤاس مع لائميه حين يطلب إليهم أن يكفّوا عن لومهم إياه، لأن ذلك ربّما أغراه بما يريدون صرفه عنه كما قيل: " كلّ ممنوع متبوع"، وكأنّه يذكر لائميه بمنهج تربوي- اجتماعي:

دع عنـك لَـومي فـإنّ اللـوم إغـراء وداوني بـــالتي كانـــت هـــي الـــداءُ

(أبونؤاس، ٢٠٠٢: ١٥/٣)

و

فَمـــا زادَني اللاحـــونَ إلّـــا لَجاجَـــةً عَلَيهـــا لِـــأنّي مـــا حَيِيـــتُ رَفيقُهـــا

(أبونؤاس، ٢٠٠٢: ٢٢٣/٣)

ثم إن اللوم يقود الإنسانَ إلى المنهي عنه، أكثر من أن يحذّره منها، وهذا أبونؤاس يهرب من لوم اللائمين إلى ما يلام فيه:

هُنـــاكَ لا تَتَخَطّـــى الأُذنَ لائِمَـــةٌ وَلاتَـــرى قـــائِلاً مَـــن ذا؟ وَلا: مـــاذا؟

(أبونؤاس، ٢٠٠٢: ١٣١/٣)

وكمظهر للرفض والتحدي والإصرار، جعل أبونؤاس ما هو يعتبر عند لائميه داءٌ (الخمر)، دواءاً عنده، وهكذا يندّد أبونؤاس بلومهم ذلك، باعتباره ممثّلاً فاعلاً لشعبه في المجتمع العباسي.

ومع أنّ لائميه لم يهملوا من أيّ ايذاء وايلام له لكنّه ما تراجع عن هذا الموقف الرفضي والتمرّدي إزائهم، إذ أنه يملك دستوراً اجتماعياً صُدر من عنده يبين له أوامره ونواهيه دون اعتبار المعايير الاجتماعية الثابتة لحسن سلوكه وقبحه:

أعـــاذِلَ إنَّ اللَـــومَ مِنـــكِ وَجيـــعُ وَلي إمـــرَةٌ أعصـــي بِهـــا وَأُطيـــعُ

(أبونؤاس، ١٩٨٧: ١٠١/٢)

www.SID.ir

Archive of SID

إضافة إلى أنّه مع ذلك كلّه، لا يبيع عرضه للناس ولا يذللّه، بل هو يصونه ويعززّه:

أعــاذِلَ مــا علَــى وَجهــي قُتــومُ وَلا عِرضــي لِــأوَّلِ مَــن يَســومُ
يُفَضِّــلُني علَــى الفِتيــانِ أنّــي أبيــتُ فَــلا أُلامُ وَلا أُلــيم
أعــاذِلَ إِن يَكُــن بُــردايَ رَثّــا فَــلا يَعــدِمكَ بَينَهُمــا كَــريمُ

(أبونؤاس، ٢٠٠٢: ٢٧٥/٣)

إن أبانؤاس لايقف في موقف دفاعي فحسب، بل قد يهاجم تلك الأفكار البالية المتزمتة التي هيمنت على المجتمع العباسي رغم مظاهر الحضارة المدنية الحديثة في المجتمع العباسي آنذاك، إذ يسمّى لومهم إياه بدعة، ومعروف أن هذا العصر كان عصر بدع وأفكار ومدارس ومذاهب فكرية كثيرة من سنة وشيعة وزنادقة والنصارى واليهود وما إلى ذلك، وكلّ هذه المذاهب والفرق اختلفوا فيما يجوز وما لا يجوز، وكان طبيعياً أن تكثر البدع والاجتهادات حتى وجدنا أبانؤاس يسمّى اللوم بدعة، وكأن ذلك ثورة على المألوف عنده (تعاطي الخمرة) وهي بدعة كإحدى الكبائر التي تدخل صاحبها النّار:

وَلاحٍ لَحــاني كَــي يَجــيءَ بِبِدعَــةٍ وَتِلــكَ لَعَمــري خُطَّــةٌ لا أُطيقُهــا
لَحــانِيَ كَــي لا أشــرَبَ الــراحَ إِنَّهــا تُــوَرِّثُ وِزراً فادِحــاً مَــن يَــذوقُها

(أبونؤاس، ٢٠٠٢: ٢٢٣/٣)

ويمزج أبونؤاس رفضه للوم اللائمين بإعزازه للخمر طالباً إلى لائميه بأن لا يشينوا اسمها بتلفّظهم وأن لا يقبّحوها:

عــاذِلي في المُــدامِ لا أُرضــيكا إِنَّ جَهــلاً مُــلامُ مَــن يَعصــيكا
لا تُسَــمِّ المُــدامَ إِن لُمــتَ فيهــا فَتَشــينَ اِسمَهــا المَلــيحَ بِفيكــا

(أبونؤاس، ٢٠٠٢: ٢٢٦/٣)

ومعروف أن أبانؤاس في غير هذا المكان خلع على الخمر من ألقاب وأسماء وصفات الإجلال والتمجيد ما لم يخلعها على أجلّ ممدوحيه وأعظمهم شأناً، وإذا جاز لنا المقارنة في هذا المجال بين الخمر وبين ممدوحيه قلنا إن الخمر هي أعظم ممدوحيه شأناً وأرفعهم مكاناً عنده لأنّ مديحته إياها كان خالصاً لوجه الممدوح ولا شيئاً سواه، بينما مدائحه للآخرين لا تخلو عن أغراض وأسباب أخرى، إضافة إلى أنّ الحديث عن الخمر وما يمتّ بصلة إليها صارت له بمثابة رمز الحرية الانسانية في المجتمع العباسي، وبما أنه يقدّس الحرية فيقدّس الخمرّ ويعظّمها طبعاً:

www.SID.ir

Archive of SID

أثـــنِ عَلـــى الخَمـــرِ بِآلائِهـــا وَسَـــمِّها أحسَـــنَ أسمائِهـــا

(أبونؤاس، ١٩٨٧: ٢٣/١)

إن فهم أبي نؤاس من الخمر يبتعد عن فهم لائميه بُعد الثرى من الثريا إذ هم لا يعرفون الخمر كنه المعرفة، بل يعرفون ظاهرها دون باطنها، فهو يدعو الطرفين، إياهم وإياه بأن يسكتوا عما يعرفون عنها:

أعـــاذِلُ مـــا عَلـــى مِثلـــي سَـــبيلُ وَعَـــذلُكَ في المُدامَـــةِ يَســـتَحيلُ
أعـــاذِلُ لا تَلُمـــني في هَواهـــا فَـــإِنَّ عِتابَنـــا فيهـــا يَطـــولُ
كِلانـــا يَـــدَّعي في الخَمـــرِ عِلمـــاً فَـــدَعني لا أقـــولُ وَلا تَقـــولُ

(أبونؤاس، ٢٠٠٢: ٢٥٢/٣)

أو كما يقول:

لا تَعـــذُلا في الـــراحِ إِنَّكُمـــا في غَفلَـــةٍ عَـــن كُنـــهِ مـــا تُســـدي

(أبونؤاس، ٢٠٠٢: ١٢٤/٣)

إن رفض أبي نؤاس للوم اللائمين ليس رفضاً عشوائياً بل هو رفض بصير مقرون بالإصرار، وبالحجّة وبمواطن اللوم وأسباب الدفاع، لذلك خلق مسوّغات للإصرار على الخمر وعللّ عدم انصرافه عنها أو عدم رفضه لها تعليلاً طريفاً يمثل معظم جوانب مجتمعه منها:

– ورود ذكر الخمر في القرآن الكريم: "أأرفُضُها وَاللَهُ لَم يَرفُضِ اسمَها" (أبونؤاس، ٢٠٠٢: ٢٢٣/٣)

– يتعاطيها أمير المومنين، الخليفة الأمين العباسي: "وَهَذا أميرُ المُؤمِنينَ صَديقُها" (أبونؤاس، ٢٠٠٢: ٢٢٣/٣). وأليس هذا نقداً لاذغاً للخليفة الذي سمّى نفسه بأمير المؤمنين، وكان من المفروض أن يكون أسوة حسنة لمن يعيش في ظل حكومته ولكنّه عدل عنها وصار يعمل بما ينهَى الناس عنه ويلامون لأجله؟!

– إنّه لا ينبع من صفاء الودّ بل نابعٌ من الحسد والبغض:

يـا عـاذِلي قَـد أتَـتني مِنـكَ بـادِرَةٌ فَـإِن تَغَمَّـدَها عَفـوي فَـلا تَعُـدِ
لَوكـانَ لَومُـكَ نُصـحاً كُنـتُ أقبَلُـهُ لَكِـنَّ لَومَـكَ مَحمـولٌ عَلـى الحَسَـدِ

(أبونؤاس، ٢٠٠٢: ١١٧/٣)

ومن ثمّ التناقض بين ما يبدون الناس له من الود والنصيحة المشفقة وبين ما يضمرونه من الحسد والبغض

www.SID.ir

Archive of SID

- الخمرة قبل تكونّه كانت حلالاً وهذا الحلّ يذهب بالحرام:

وإن عـذل العـواذلُ لستُ ممّـن ... يجانـبُ لـذّةً حِـذرَ الإمـامِ
حـرامٌ كـان أولّـه حـلالاً ... فخـلٌّ الحـلَّ يـذهبُ بـالحرامِ

(أبونؤاس، ٢٠٠٢: ٣/٢٨٨)

ويبدو أن هذا التعليل منبعث من رغبة أبي نؤاس في إثارة سخط فقهاء البلاط الذين يحكمون بصالح الخلفاء وبطائنهم، وقد يبتعدون عن الأصول والمباني مسافةً طويلةً لأجل مصالحهم.

- فساد البيئة:

قـالوا تَنَسَّكَ بَعـدَ الحَجِّ؟ قُلتُ لَهُم ... أرجـو الإلَـهَ وأخشـى طيزَنابـاذا
أخشـى قُضَـيِّبَ كَـرمٍ أن يُنـازِعَني ... رأس القطـار وإن أسـرَعتُ إغـذاذا
فَـإن سَـلِمتُ وَمـا قَلـبي عَلـى ثِقَـةٍ ... مِـنَ السَـلامَةِ لَـم أسـلَم بِبَغـذاذ
اأبعَـدَ النُسـكَ مِـن قَلـبٍ تَقَسَّـمَهُ ... قُطرَبُّـلٌ فَقُـرى بَنّـى فَكِلـواذى

(أبو نؤاس، ٢٠٠٢: ٣/١٣٠-١٣١)

البيئة أو المجتمع الانساني هي من أهم الأسباب في تكوين الانسان وتوجيهه إلى الخير أو الشر، وهي بمثابة أرض تنبت فيها البذور البشرية، وأمّا البيئة النؤاسية المعروفة بفسادها وتلوّثها الأخلاقي قلّما تخطو خطاها في سبيل تربية وتنشئة أفراد مهذبين، وإذا لا نقول بأنّه يستحيل للإنسان في مثل هذا المجتمع أن يستعصم من جميع تلك المفاسد والمفاتن التي تلمّ به من جميع الجهات من الجمال واللذة والشهوة، فنقول إنه يصعب عليه للغاية..

- صبوته إياه وندمائه إلى الخمر هي من صُنع الله سبحانه وتعالى:

ألا لا تَلُمـني في العُقـارِ جَليسـي ... وَلا تَلحَـني في شُـربِها بِعُبُـوسِ
لَقَـد بَسَـطَ الـرَحمَنُ مِنّـي مَـوَدَّةً ... إلَيهـا وَمِـن قَـومٍ لَـدَيَّ جُلُـوسِ
تَعَشَّـقَها قَلـبي فَـبَغَّضَ عِشـقُها ... إلَـيَّ مِـنَ الأَمـوالِ كُـلَّ نَفـيسِ

(أبونؤاس، ٢٠٠٢: ٣/١٩٠)

ولا يستلزم للنواسي أن يعتقد بمثل هذه التعليلات من صميم قلبه، لكنه قد يتظاهر بها عامداً وهو يوجّه نقده اللاذع إلى شيوع هذه الظاهره السلبية في مجتمعه آنذاك.

www.SID.ir

Archive of SID

وأما حافظ الشيرازي فقد اتفقت الآراء فيه بأنه من اتباع الطريقة الملامتية[١]، إحدى الفرق الصوفية، التي تقوم على ملامة النفس في كل الأحوال. ومن أصول الملامتية عند حافظ هو إخضاع نفسه للوم اللائمين دون أن ينضجر أو يرعب منهم (خرمشاهي، ١٣٦١: ٧١):

وفا كنيم وملامت كشيم وخوش باشيم　　كه در طريقت ما كافريست رنجيدن

ومن دأبي الوفاء واحتمال اللوم والإحساس بالرضاء

لأن الغضب في طريقتنا هو عين الكفر والبلاء (حافظ، ١٩٩٩: ٣٣٧)

وهذا لا يعني أنّه يسكت أمام هؤلاء الذين من دأبهم لوم الآخرين بل في مقاطع من شعره يوّجه سهام نقده تجاههم لأسباب منها:

اللائم بلومه يمنع الانسان من حريته:

عيب حافظ گو مكن واعظ كه رفت از خانقاه　　پاي آزادي چه بندي؟ گر بجايي رفت رفت

(حافظ، ١٣٨٠: ١١٦)

ـ فقل للواعظ: «لا تعب حافظا إذا ابتعد عن الصومعة...!!»

وكيف يمكنك أن تقيد أقدام الحر الطليق، وهو إذا ذهب... فقد ذهب؟! (حافظ، ١٩٩٩: ٦٤)

اللائم لا فضل له بالقياس إلى من يلومه:

كمال سرّ محبت ببين نه نقص گناه　　كه اعتراض بر اسرار علم غيب كند

(حافظ، ١٣٨٠: ٢٥٣)

ـ فانظر...، فليس كمال سرّ المحبة هو النقص في الذنوب

ولكن حيثما استقر «من لا فضل له» فلا ينظر إلّا إلى العيوب...!! (حافظ، ١٩٩٩: ٨٥)

هو لا يعرف شيئا عن كنه الأسرار الإلهية وحقائقها إذ هو يبقى في قيود ظواهر الأمور ولن يتعداها إلى بواطنها:

بد رندان مگو اي شيخ وهش دار　　كه با حكم خدايي كينه داري

(حافظ، ١٣٨٠: ٦٠٧)

ـ ويا أيها الشيخ... تنبّه... ولا تتحدث بالسوء عن المعربدين

---

١. للاستزادة يراجَع كتاب "چارده روايت" خرمشاهي. ص٧٠ -٨٣

www.SID.ir

Archive of SID

فإن إن فعلت... فإنما تحارب حكم رب العالمين...!! (حافظ، ١٩٩٩: ٣٣٦)

لوم اللائم للآخرين دليل على عجبه وزهوه

يا رب آن زاهدِ خودبين كه به جز عيب نديد　　دودِ آهيـــــش در آيينـه ادراك انـــــــداز

(حافظ، ١٣٨٠: ٣٥٧)

ـ فيارب! إذا كان هذا الزاهد المزهو لا يستطيع أن يرى غير المعيوب

فألق على مرآة إدراكه دخان تأوهات القلوب...!! (حافظ، ١٩٩٩: ١٨٩)

القاء اللوم على الآخرين ليس عملاً حسناً:

عيب درويش وتوانگر به كم وبيش بد است　　كـارِ بـد مصـلحت آن اسـت كـه مطلـق نكيـنم

(حافظ، ١٣٨٠: ٥١٥)

ـ ومن السوء أن نعيب «الدرويش» أو «الغني» في قليل أو كثير ومن المصلحة الّا نعمل السوء على الإطلاق...!! (حافظ، ١٩٩٩: ٢٥٣)

والشاعر ينصح من أصيب بهذا الداء المهلك بأن يبذل جهده في ستر عورات الآخرين وذلك لا يتحقق إلّا من وراء صفاء القلب ونور البصر:

چشم آلوده نظر از رخ جانان دور است　　بـــر رخ او نظـــر از آينـــه پـــاك انـــداز

(حافظ، ١٣٨٠: ٣٥٧)

ـ وبعيدة جداً عن طلعة الحبيب، هذه العين المبتلاة بالنظر

ولكن ألق بنظرة واحدة على وجهه من خلال هذه المرآة الصافية...!! (حافظ، ١٩٩٩: ١٨٩)

إذن هو يتأكد على أن الإنسان إذا عاش عيشة رخية يسيرة، وكذا ما عاب الآخرين فهو يستحق جميع المواهب والنعمات الإلهية:

دو نصيحت كنمت بشنو وصد گنج ببر　　از در عـــيش درآو وره عيـــب مپـــوي

(حافظ، ١٣٨٠: ٦٦١)

وأني أنصحك نصيحتين... فاستمع إليهما... وأحمل معك مئات الكنوز

فأقبل على اللهو حيثما كان... وحذار أن تطأ بأقدامك طريق العيوب...! (حافظ، ١٩٩٩: ٣٢٤)

www.SID.ir

Archive of SID

النتائج

رياء الناس وتسترهم، البخل ولوم اللائمين وعيب العابين هي من أهم القضايا الاجتماعية الشائعة المشتركة في هذين المجتمعين التي تطّرق إليها كلا الشاعرين في شعرهما، فهما قاما بكشف اللثام عن تلك الحقائق المرّة في المجتمع بقلم أدبي رصين جوهره الفكاهة:

إن أبانؤاس يدين ظاهرة الرياء دون أن يتصّرح بألقاب أصحابها ومناصبهم في المجتمع، لكنه يبدو من شعره كله أنّ قصده من المرائيين هم بعض العلماء والمذهبيين المشددين، ولكن حافظ الشيرازي ينصّ على رياء إمام البلدة، واعظ البلدة، الشيخ، المفتي والمحتسب مضافاً إلى أنّ نقده الذع وأبين من نقد أبي نؤاس إذن اللافت للنظر أن الرياء في شعر الشاعرين قد تعقّد بالدين واصحاب الدين في المجتمع وهذه القضية اكثر شهوداً في شعر حافظ الشيرازي.

- قام أبونؤاس بتصوير ماديّ فكاهي مُضحك لظاهرة البخل والبخيل وتوصيفهما في شتى الأبيات ولا يكاد يتعدّى إلى صور غير مادية، ولكن البخل من وجهة نظر حافظ الشيرازي هو كفر باللّه العظيم كما جاء في سورة النساء آية ٣٧.
- في رؤية الشاعرين لا يتمّ خلاص البخيل من داء البخل إلّا عن طريق تعاطيه الخمر وجوده بها على الآخرين. ومما لا شك فيه أن الشاعرين لم يقصد بهذه الخمر، في كثير من الأحيان، الخمرَ المادية فحسب بل هي قد تكون رمزاً لخمر تهب شاريه الوعي والسماحة أو قد تكون تعبيراً عن المفاهيم الانتزاعية أمثال الحب الهي، الحرية الانسانية وما إلى ذلك.
- وأما لوم اللائمين فيقف أبونؤاس ازاء اللائمين، لا يستمع إلى أوامرهم ونواهيهم، ويعمل أو يتظاهر بما ينهى عنه، ويذكرهم بأن اللوم إغراء وتحريض لقيام بما يريدون تركه. وقد يبررّ بعض التعليلات لإثبات عدم صحة دعواهم وحافظ الشيرازي مع أنّه يخضع نفسه للوم الائمين باعتباره تابعاً من أتباع الفرقة الملامتية لكنّه يذمّ شيوع هذه الظاهرة في مجتمعه أيضاً ويذكرّ اللائم بأن اللوم يمنع الانسان من حريته.
- والطريف في هذا المقال أن الشاعرين كليهما يعرفون ويذكرون بأن لوم اللائم لا ينبع من صفاء الود بل هو منبعث عن حسده، عجبه وزهوه مضافاً إلى عدم اطلاعه على باطن الخمر، كنهها وحقيقتها.
- والملحوظ أن رد عمل شاعرين الرئيسي يتلخّص في بيان الخلل الخلقية- الاجتماعية عبر مقدرتهما الأدبية والفكاهية في تعبير كثير من القضايا الجادة المرّة، وهو فنٌ لا يتمكنه

www.SID.ir

Archive of SID

كلّ أديب أو شاعرٍ مضافاً إلى أنهما من وجهة نظر الباحث يعدّان شاعران ملتزمان يهمّهما ما يجري في المجتمع من الأحداث غير أنّ شاعرنا أبونؤاس قد اتهمّ بتحلل الخلقي مستنداً إلى شعره وما قيل عن حياته الفردي والأدبي وكما قيل: "أحسن شعر أكذبه" وقال الله سبحانه وتعالى في آية من ٢٢٦ سورة الشعراء ﴿**وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا يَفْعَلُونَ**﴾، فمن السذاجة أن يعتمد على ظاهر الشعر مقروناً بما قيل عن الشاعر سواء صدقا أو كذباً، فيصدر الرأي الأخير بتحلل الخلقي للشاعر، فحرام شاعرنا أبونؤاس!!! ولكن حافظ الشيرازي فهو حالفه الحظ إذ الآراء تميل إليه، يحبونه الناس الخاصة منهم والعامة حيث يتفألون بشعره ويؤوّلون شعره على ما يريدونه، هذا مضافاً إلى أفكاره الصوفية وآراءه العرفانية التي جعلت شعره أثرى وأغنى فنياً ومضموناً.

www.SID.ir

Archive of SID

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أبوشقراء، محيي الدين يوسف (٢٠٠٥م). *مدخل إلى سوسيولوجيا الأدب العربي*. بيروت: المركز الثقافي العربي.

٢. أبونؤاس، الحسن بن هانئ (٢٠٠٢م). *ديوان أبي نؤاس*. شرح حمزه إصفهاني، تحقيق غريغور شولر. بيروت: دار المدى.

٣. أبونؤاس، الحسن بن هانئ (١٩٨٧م). *شرح ديوان أبي نؤاس إيليا الحاوي*. بيروت: منشورات الشرك العالمية للكتاب.

٤. اكبري موسى آبادي، مريم (٢٠١٣م). *دراسة موتيف "لظرف" و"رندي" في شعر أبي نؤاس الأهوازي وحافظ الشيرازي قراءة مقارنة*. فصلية الإضاءات النقدية، السنة ٣، العدد ١١، صص١٨٥-٢٠٧.

٥. باقري خليلي، علي اكبر (١٣٨٧هـ). ***بررسي انتقادات اخلاقي اجتماعي در شعر حافظ***. مجله دانشكده علوم انساني دانشگاه سمنان. شماره ٢٥، صص٢٧-٤٨.

٦. حافظ شيرازي، شمس الدين محمد (١٣٨٠هـ). *ديوان حافظ شيرازي*. شرح وتحقيق خليل خطيب رهبر. طهران: صفي عليشاهي.

٧. حافظ الشيرازي، شمس الدين محمد (١٩٩٩م). *ديوان حافظ الشيرازي*. ترجمة بالعربية ابراهيم امين الشواربي. طهران: مهراندیش.

٨. خريس، حسين (١٩٩٤م). *حركة الشعر العباسي في مجال التقليد بين أبي نؤاس ومعاصريه*. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

٩. خرمشاهي، بهاء الدين (١٣٦١هـ). *ذهن وزبان حافظ*. طهران: طرح نو.

١٠. الزعيم، أحلام (١٩٨١م). *أبونؤاس بين العبث والاغتراب والتمرّد*. بيروت: دار العودة.

١١. سجادي، سيد جعفر (١٣٦٢هـ). ***فرهنگ اصطلاحات وتعبيرات عرفاني***. ط٣. طهران: طهوري.

١٢. صفا، ذبيح الله (١٣٦٩هـ). *تاريخ ادبيات در ايران*. طهران: انتشارات فردوس.

١٣. ضيف، شوقي (١٩٨٠م). *تاريخ الأدب العربي*. مصر: دار المعارف.

١٤. عوض، إبراهيم (٢٠١٢م). *الأدب المقارن تعريفه وميادينه*. تاريخ ٢٠١٢/٥/٢، الموقع الالكتروني: http://ibrawa.coconia.net.

www.SID.ir

Archive of SID

١٥. عجرش، خيرية (٢٠٠٧م). *أبونؤاس والكفر بين معارضيه ومؤيديه*. مجلة العلوم الإنسانية، السنة٤، العدد١٤، صص١٠١-١١٦.

١٦. محمدي ري شهري، محمد (١٣٨١هـ). *منتخب ميزان الحكمة*. قم: دار الحديث.

١٧. المجلسي، محمد بن باقر (١٣٩٢ق). *بحار الأنوار*. طهران: إسلامية.

١٨. نراقي، أحمد (١٣٧١هـ). *معراج السعادة*. طهران: هجرت.

١٩. اليافي، عبد الكريم (١٤٠٩ق). *حافظ الشيرازي والتراث العربي: أسرار الإبداع في شاعريته*. التراث العربي، العدد ٣٥-٣٦، صص٧-٢٦.

www.SID.ir